

المؤامرة التاريخية على حزب البعث

أيها الاخوان: ^(١)

حديثي إليكم سيكون صريحاً بسيطاً . . . سأوجز ملاحظاتي والخواطر التي أشارتها أقوالكم في نفسي ، ولكم بعد ذلك أن تفكروا ملياً لكي تكون أعمالكم وخطواتكم وأنتم شباب الحزب المناضلون المعتمد عليهم مع الرفاق الذين يتحملون التعذيب والاضطهاد في داخل القطر السوري . . . أقول لكي تكون خطواتكم رصينة وفي مستوى المسؤولية غير متأثرة بالانفعال وحالة الألم والنزق التي تنتج عن وضعكم بعد أن اضطررتم الى مغادرة الأرض والأهل .

الملاحظة الاولى : التي أريد أن أذكركم بها هي أنه توجد مؤامرة تاريخية على حزب البعث لم تبدأ اليوم ولا قبل سنوات وإنما من سنين طويلة ، منذ ان اتضح لأعداء الأمة العربية ولذوي المصالح في هذه المنطقة ، لذوي المصالح الأجنبية طبعاً ، وللرجعية العربية مدى واقعية هذا الحزب ومدى تجاوبه مع الحاجات التاريخية للأمة العربية في هذا العصر ، منذ ذلك الحين بدأت المؤامرة ثم اتسعت ودخلت فيها عناصر جديدة وكانت تتجدد في مظاهرها وأشكالها ولكنها تبقى واحدة

(١) حديث ألقى على عدد من المناضلين السوريين في تموز ١٩٧٠ ، ونشر في «نقطة البداية» تحت عنوان «طريق

الوحدة تمر بفلسطين» .

في أساسها وتصميمها وأهدافها الاخيرة، مؤامرة على حزب البعث أي مؤامرة على
يقظة الأمة العربية في هذا العصر وعلى ثورتها وانطلاقها، اي مؤامرة على وجود الأمة
العربية .

هذا الحزب هو من الواقع العربي وبالتالي فلم يكن معقولاً أن يأتي منزهاً عن
جميع امراض هذا الواقع، ولكنه لو لم يكن منزهاً عن بعضها على الأقل لما احتل
المكانة التي احتلها، ولما صمد حتى الآن . لم يسبق تأسيس هذا الحزب إعداد
نظري او تنظيمي يكون في مستوى الصعوبات التي كان محتوماً على الحزب ان
يواجهها . نشأ الحزب كاندفاع وتلبية صادقة لحاجات الأمة، وفيه ثقة بأن الأمة سوف
تحتضنه وتمده بالقوة والوسائل بنسبة تفتح وعيها واستكشاف ما بينها وبين هذا الحزب
من صلة ووحدة في الضمير ووحدة في الأهداف . ولكن هذا لم يكن كافياً ليحول
دون تسرب تخريب الاعداء الى داخل الحزب وقد استغلوا كل ما في المجتمع
العربي من امراض ورواسب، ليحاربوا بها الحزب وليفسدوه وسرعان ما ظهرت في
الحزب نزعة الاستعجال، اي استعجال الوصول الى السلطة، في حين كان الحزب
بحاجة الى زمن اطول وتجارب اعمق ليصلب عوده وليكون قادراً على قهر الامراض،
امراض الواقع العربي وفي مستوى المسؤولية التاريخية، ولم يكن كل الحزب بهذه
النفسية وبهذا التفكير ولكن نزعة الاستعجال هي التي تغلبت، وإذا الحزب يجد
نفسه بعد ذلك اسيراً لاحد خيارين او طريقين لا ثالث لهما، إما ان يكون حاكماً او
مغلوباً على امره ومسحوقاً، اما ان يكون ظالماً او مظلوماً بمعنى انه يحمل من الاعباء
والمسؤوليات ما يفوق قدرته وتهيؤه وإعداده فيشعر بالتناقض والتمزق .

بعد ثلاثين سنة من ظهور حزبنا استطع ان اقول: بأنه الحركة الوحيدة في
الوطن العربي التي استشرفت المستقبل بنظر صاف والتي وضعت الاسس لنضال
عربي تاريخي قادر على الصمود والاستمرار حتى تتحقق اهداف الثورة العربية
المعاصرة، وتجيء الاحداث تلو الاحداث، النكسات والانتصارات احياناً لتؤكد
هذه الحقيقة . إنما الشيء الوحيد الذي ينقص الحزب والذي يكفل له تحقيق اهدافه
التي هي اهداف الامة العربية هو ان يخلص هذا الحزب لنفسه وان يقترب أكثر فأكثر

من فكرته وتصميمه الاول وان يراجع نفسه بين الحين والآخر ليقبس المسافة التي ابتعد بها عن تلك الفكرة وذلك التصميم حتى يسيطر على نفسه من جديد. في إطار هذه الملاحظة العامة نجد تفسيراً ليس فقط لانتكاسة ٢٣ شباط وإنما لكل التشويه الذي طرأ على الحزب قبل تلك الانتكاسة بسنين، وخاصة لذلك التزييف الكامل الذي وقع الحزب ضحيته من بعد انقلاب الثامن من آذار.

ليس من المجدي ان أدخل في تفاصيل ولكن لا بد ان أصحح للرفيق قوله بأنني قبيل ٢٣ شباط أشرت بإصبع الاتهام الى القيادة القومية، كانت تلك الاشارة ليست الى القيادة القومية بل الى الفئة التي كانت تتحكم بسورية في ذلك الحين من وراء جميع القيادات. كذلك احب ان اصحح قول الرفيق بأننا نحن الذين اضطهدنا الشعب وعملنا كل ما عمل في تلك الفترة من اضطهاد واستغلال وغير ذلك. أقول بأن الحزب بريء والحزب اخطأ عندما وثق بتلك المجموعة من العسكريين واعتبرهم رفاقاً حزبيين وإذا باللجنة العسكرية تدبر مؤامرة لتزييف الحزب تزييفاً كاملاً وللإستيلاء عليه معتمدة على السلاح الغاشم، على الدبابة والمدفع، وقد لجأ هؤلاء الى اخبث الاساليب من اجل تحقيق اغراضهم وتزييف الحزب فشجعوا الانتهازية الى أبعد الحدود وشجعوا الفساد وحاربوا الاخلاص وحاربوا العقيدة الحزبية المؤمنة وأتوا حتى بأعداء الحزب وأدخلوهم في الحزب ليكونوا عوناً لهم ضد الحزب الأصيل. فشهوة السلطة عندما تسيطر على النفس توصل الى الخيانة وهذا ما قصدته عندما أشرت في كلمتي في ١٩ كانون الاول سنة ١٩٦٥ بأن في الحزب عناصر مشبوهة وان الاستعمار قد دخل الى داخل الحزب وقد لاينطبق هذا الاتهام الا على أفراد قلائل واحداً أو اثنين أو ثلاثة. أي الاشخاص الرئيسيين وهذا كاف لا يصلح البلاد الى كارثة.

ماذا كان يستطيع الحزب وممثلوه الصادقون أن يفعلوا أمام مؤامرة داخلية من داخل الحزب. مؤامرة خبيثة نفذت ببطء وخبث وذكاء على مراحل. عندما كان واحدنا يفكر بأن يعلن ذلك على الملأ، كان رفاق كثيرون وأكثرهم مخلصون يرفعون أصواتهم بالاحتجاج إذ لايجوز في عرفهم أن يظهر الانقسام خارج الحزب فيشمت

الاعداء وترفع الرجعية رأسها وتتدخل الاستعمار وغير ذلك من التصورات . سأقول لكم واقعة من عشرات الوقائع : في كانون الاول سنة ١٩٦٤ تم الاتفاق بين أعضاء القيادة القومية على تخصيص دورة لطرح أزمة الحزب، وكان هو الشيء الذي أقنعني بالعودة من أوروبا بعد أن كنت قد تركت سورية محتجاً على الأوضاع الحزبية المزيفة ومعلنًا عجزني عن معالجتها ولم تكن القيادة القومية قبل سفري مقتنعة كلها بوجود التزيف والتسلط، وفي خلال خمسة أشهر قضيتها في الخارج حصل من التجارب ما أفتع أعضاء القيادة القومية، وأخيراً طرحت أزمة الحزب واتخذت القيادة القومية قرارات لوضع حد للتسلط والتزيف وجمدت القيادة القطرية ولكن اللجنة العسكرية ومعها العديد من الانتهازيين والحزبيين المزيفين هددوا وضغطوا ولم ترد القيادة القومية أن تصل الأمور الى حد الانفجار، وفي تلك الأثناء جاءت رسالة من الرفيق منيف الرزاز، رسالة طويلة وكان عضواً في القيادة القومية، وكنت وجهت إليه ثلاث مرات برسائل ورسلت دعوته لحضور تلك الدورة فاعتذر، ولكن بعد أن وقعت الأزمة بين القيادة القومية وقيادة القطر المتمردة على القرار، قرار الحل، أرسل الرفيق منيف تلك الرسالة المطولة يضع فيها اللوم على القيادة القومية، وبعض اللوم على الطرف الآخر، ويظهر أسفه وألمه لهذا الانقسام بين رفاق حزب واحد بإسهاب، طلبت قراءة الرسالة أمام القيادة في حين كان رأي بعض الرفاق عدم قراءتها وكنت أعرف مغزاها، وبالفعل لاقت ارتياحاً لدى أعضاء اللجنة العسكرية في القيادة وبعد ذلك ببضعة أشهر أي من كانون الاول ١٩٦٤ الى انعقاد المؤتمر القومي الثامن في نيسان ١٩٦٥ بعد ذلك طلبت من الرفيق منيف الرزاز أن يتحمل مسؤولية الأمانة العامة ويجرب بنفسه تحمل المسؤولية، إذن حتى في مستوى أعلى القيادات وأعلى القياديين كان هناك نقص في الفهم وفي التجربة، وآراء عاطفية تدخل في المواقف التي تتخذ من أخطر أزمة مر بها الحزب . وتركت القيادة وأصر القطريون بالذات على انتخابي في القيادة القومية رغم انسحابي وإعلاني المتكرر لذلك الانسحاب، أصرروا هم لكي يبقوني داخل سجن التزيف لكي تستمر الأخطاء وتستمر المؤامرة، تنفذ الى آخر مراحلها، وأحمل مسؤوليتها. ولكنني قاطعت رغم كل شيء، قاطعت

اجتماعات القيادة القومية بعد المؤتمر القومي الثامن ثمانية أشهر، ولم أحضر إلا في ذلك اليوم الذي كاد يحصل فيه اشتباك بال سلاح أي يوم ١٩ كانون الأول ١٩٦٥ ضغط علي الرفاق لكي أذهب الى القيادة القومية وأهدىء الجوى، وألقيت تلك الكلمة التي أشار إليها الرفيق .

أيها الأخوان

أتمنى لو تستجمعون كل انتباهكم وتجربتكم النضالية لتفهموا ما أريد إيجازه لكم في هذه الكلمة لأنني حريص ألا تفقد اللغة المشتركة بيني وبين أعضاء هذا الحزب . ألا تفقد الصميمية والمفاتيحة الوجدانية . إن المؤامرة التاريخية على حزب البعث التي ذكرت لكم شيئاً عنها في بدء هذا الحديث، كان من أوضح تعبيراتها ومظاهرها التحامل على شخصي والمستهدف هو الحزب وليس الشخص، ولكن في حساب الاستعمار والقوى المتآمرة ان تحطيم الشخص يوصل إلى تحطيم الحزب أو إنزال الأذى الكبير به . وهذا ما يفسر كيف أني بعد أن علمتني التجارب الطويلة صرت أحرص على الابتعاد عن المسؤولية على ما في ذلك من ألم في نفسي لكي أفوت على المتآمرين بعض الفرص . وقد حدثتكم حديثاً صريحاً بينت فيه ان الحزب منذ نشأته لم تترك له الظروف والأحداث فرصة ومجالاً لتكوين نفسه فكرياً وتنظيمياً وتربوياً التكوين الصلب الذي يجعل منه جسماً واحداً موحداً كالرجل الواحد، بل حمل الكثير من أمراض المجتمع ودخلته الدسائس والأصابع المشبوهة ولكن بذرته الطيبة ضمنت له الصمود رغم كل شيء . إذن لم يكن باستطاعتي أن أتكافأ بالوسائل والسلطة مع كل تلك الفئات التي اغتصبت اسم الحزب اغتصاباً وعملت على تشويه وجهه وحقيقته . لم يكن ثمة أدنى حد من التكافؤ لأن الحزب لم يكن موحداً ولم يكن سليماً في الداخل بل كان شتاتاً من الفئات والأهواء والمصالح فلكي ننقذ سمعة الحزب وفرصة تجده في المستقبل ونهوضه من عثاره كان لا بد أن نفضح التزوير والتزييف بالابتعاد . وخرجت من تلك التجربة بدرس نهائي وبقناعة نهائية إنه بالنسبة لي على الأقل ليس من مصلحة الحزب أن أضع نفسي في الواجهة وأمكن أعداء الحزب وأعداء الأمة من أن يصيبوا الحزب من خلالي ، وصممت أن يقتصر دوري

على الناحية الفكرية وهذا أطبقه وأمارسه منذ ذلك الحين حتى الآن وتعرفون ولا بد ان تكونوا عرفتم بأني في المؤتمر القومي العاشر الأخير بعد أن تعذر إقناع الرفاق اعضاء المؤتمر والرفاق العراقيين بخاصة بأن يعفوني من مسؤولية الأمانة العامة حتى من المسؤولية الاسمية وافقت على قبول الصفة دون ممارسة المسؤوليات ووافق المؤتمر على طلبي بأن أنقطع للجنة شكلها المؤتمر باسم اللجنة الفكرية . مع العلم بأني أشعر برابطة قوية بيني وبين الرفاق المتسلمين للمسؤولية في هذا القطر، وأطمئن إليهم واثق بنزاهتهم واخلاقيتهم وأصالتهم الحزبية كما أشعر نفس الشعور نحو رفاقي في القيادة القومية وأعتقد وأؤمن بأن هذا الطرف الذي نحن فيه هذا الطرف الذي لاترون أيها الرفاق منه إلا وجهه المظلم لأنكم عانيتم من الاضطهاد على أيدي تلك الفئة المشبوهة التي اغتصبت اسم الحزب في القطر السوري . هذا الطرف بالذات له وجه آخر مشرق وإشراقه يربو على ظلمته أضعافاً مضاعفة ، هو أكبر فرصة تاريخية أعطيت لحزب الثورة العربية لحزب الوحدة العربية ، لكي يقوم بدوره الأصيل بينما تتخاذل الأنظمة العربية وتتآمر لفرض حلول تعادل الانهزام والموت ، لأنها فضلت نفسها وأشخاصها وطبقتها الحاكمة على الأمة العربية بإمكانياتها الزاخرة الوفيرة التي تستطيع أن تحارب عشرات السنين وأن تصمد وأن تنتصر فيما لو وجدت القيادة الشجاعة والواعية والثورية بالمعنى الصحيح التي ترى إمكانيات المستقبل وتراهن عليها وتطلقها وتفجرها بدلاً من أن تخنقها وتتآمر عليها . فالطريق واضحة وبسيطة طريق الثورة ثورة الشعب ، عندما يندمج الحزب بالشعب وهي كما قال رفيق آخر مرتبطة بالمعركة المصيرية في فلسطين فإذا قام الحزب بواجبه على الجبهة الشرقية فإن أمر المعركة يكون سهلاً وقد قلت قبل عام لرفاقنا في القيادة القومية في أوائل آب عندما طرحت موضوع الوحدة وضرورة وضع خطة لتحقيقها بأن طريق الوحدة يمر بفلسطين .

أكتفي بهذا أيها الرفاق وبعد أن وضحت ما أستطيعه وما لا أستطيعه أعدكم بأن أبذل كل جهودي في هذا السبيل شريطة ألا نعود إلى الالتباسات الماضية التي لم يستفد ولن يستفيد منها إلا أعداء الحزب وأعداء الأمة .